

الباب الرابع

الكعبة و تكاثر الأكلة

كلمة هادئة بعد رحيل مبارك

لا يختلف أحد على أن النظام السياسى فى مصر كان فاسداً وقد تجمعت كل أسباب الفشل فى هذا النظام من تمسك بكرسى الحكم، وطول مدة الحكم، وطول عمر الحاكم، والتفاف رجال الأعمال الفاسدين حول النظام، ويزوغ فكرة التوريث، والجمع بين الرئاسة فى الدولة والرئاسة فى الحزب الوطنى (حزب الأغلبية)، وطبعاً أغلبية بالتزوير، ثم تخصيص كل أجهزة الدولة من أمنية واقتصادية لمصلحة النظام، ومعناه أن السلطة المطلقة كانت فى يد النظام، وكما قيل دائماً (السلطة المطلقة مفسدة مطلقة)، وهو ما تحقق وشاهدناه جميعاً، ولا يختلف أحد على أن ما حدث فى الخامس والعشرين من يناير على يد الشباب هو ثورة لم يكن أحد مطلقاً يتخيلها ولا يعلم بها، ولكنها مشيئة الله، وكان ما كان والحمد لله على ما كان، ولا يختلف أحد أنه بعد نجاح ثورة الشباب فى الخامس والعشرين من يناير، بدأ عهد جديد ولكن فى نفس الوقت بدأت الأيادى تلتف حول الكعكة إما لتتال نصيباً منها أو لتعتلى مقعداً أو لتغير من جلدها كى تواكب الأحداث، وهذا أيضاً ما شاهدناه فيما يجرى حولنا وما سوف نشاهده كثيراً؛ لأن النجاح له ألف أب أما الفشل فليس له إلا أباً واحداً ... وهنا نشير إلى بعض الأيام الهامة من تاريخ مصر.

وفىها يجب أن نقول أولاً ونؤكد أن الشعب المصرى شعب الحضارة ودائماً ما تكون ثوراته سلمية لا دموية، وذلك ما تجلى فى ثورة الشعب عام ١٩١٩، وفى ثورة الجيش عام ١٩٥٢ والتي أيدها الشعب، ثم ثورة الشباب الأخيرة فى يناير ٢٠١١ والتي تجمع حولها كل الشعب وأيدها وساندها الجيش.

ثم نقول ثانيًا إن الرئيس مبارك بتحيه عن السلطة رضوخًا ونزولاً على إرادة الشعب يكون قد أغلق ملفًا لعهد استمر ثلاثين عامًا شهدت فيه مصر بعضًا من الاستقرار واستطاعت سفينة القيادة في مصر أن تبهر سالمة بين أمواج عاتية وإن كانت هذه السلامة في الأمن الخارجى لم تصاحبها سلامة في الأمن الداخلى وفى الأمن الاجتماعى وفى الأمن الاقتصادى، حيث عانت الطبقات المتوسطة والفقيرة (وهى الأغلبية الكبيرة من الشعب) الكثير من تفاوت الدخل والخدمات وأهمها الخدمات الاقتصادية والتعليمية والأمنية.

وعلى ذلك نقول إن الثلاثين عامًا من عهد مبارك شهدت فترة رضا من الشعب فى العشر سنوات الأولى، ثم وبعد أن بزغ نجم التوريث وعهد رجال الأعمال شهدت مصر أسوأ فترات حكمها بل ونكاد نقول إن مصر لم تشهد عهدًا مثيلاً لهذا العهد فى كل عصورها وهو ما بين ١٩٩١ وحتى ٢٠١١، وعليه نقول إن مبارك أجاد قليلاً وأخطأ كثيرًا جدًا جدًا .

ونقول ثالثًا، إن حركة الشباب التى ولدت شرارة ثورة الشعب فى الخامس والعشرين من يناير، لم تولد صدفة بل جاءت نتيجة تحركات فى السنوات الخمس الأخيرة التى كانت بسبب تنوع وسهولة وسائل التواصل بين الشباب من انترنت وغيره وكذلك صاحبها حرية فى التعبير فى كل مصر من فضائيات وجرائد ومواقع فى الانترنت، وكذلك انشغال أجهزة الأمن بأمن الرئيس والرئاسة، وإضعاف أجهزة الأمن للمواطن رغم القمع والتكيل الذى كان يحدث بين الفينة والفينة والذى لا يعبر عن قوة جهاز الأمن لصالح المواطن ولكن لقمع المواطن والمعارضة .

ونقول رابعاً ، إن ما حدث في ميدان التحرير منذ بداية تظاهرات يوم الغضب في الخامس والعشرين من يناير والتي بدأها الشباب ثم ما لبث أن التحمت معه كل طوائف الشعب ، أظهرت معدن الشعب المصري الأصيل وعبقريته المبهرة ، فهذا الشعب أظهر وحدة وطنية متينة ، وأظهر تكافلاً اجتماعياً ، وأظهر طاقة كبيرة في العمل العام وخدمة المجتمع ، وكان ميدان التحرير هو صورة مصغرة لمصر في وقت الشدائد والتي شهدنا صورتها في أثناء حرب العبور رمضان أكتوبر ٧٣ ، وكذلك في أيام النكسة الحالكة في يونيو ٦٧ ، وما نحن نشاهدها في أيام وليالي ميدان التحرير ٢٠١١ ، حيث لم يشكو أحد من حاجة أو فقر أو تحرش أو سرقة أو نوع من الاحتياج ، وهذه هي مصر الحقيقية .

ونؤكد خامساً ، أن كل الدول والفضائيات التي أيدت وهلت وتابعت أحداث ثورة الشباب كانت تتخذ موقتها من مصلحتها ورؤيتها الخاصة ، وهذا الكلام في الدبلوماسية هو عين الحقيقة فليس في علاقات الشعوب غير المصلحة وتوحد الهدف .

فمثلاً موقف الولايات المتحدة الأمريكية كان من منطلق مصلحتها فهي تؤيد النظام طالما أن بقاءه لمصلحتها وتعارض النظام طالما أن بقاءه في غير مصلحتها .

وكذلك بعض الفضائيات وأنظمة الحكم في بعض الدول كانت تؤيد النظام لمصلحتها وتهاجم النظام ، وبالتالي تؤيد ثورة الشباب لمصلحتها ، ولمعارضتها للنظام وهذا الكلام فقط لكي نعرف صحة المقولة (ما حك ظهرك مثل ظفرك) .

سادساً ، وبثقة نقول إن نجاح ثورة الشباب أثبت فشل كل قوى

المعارضة في مصر من أحزاب وجماعات، وأن ما فعله الشباب فشل فيه كل المعارضين من أحزاب (الوفد والتجمع والغد والناصرى وغيره) وكذلك (الجماعات الدينية) الإخوان المسلمين والجماعة الإسلامية السلفية وغيرهم، وكثير من الوجوه المعارضة المستقلة مثل البرادعى وعمرو موسى وغيرهم.

وعلى ذلك لا يجب أن نسمح لأحد من هؤلاء أن يستولى على الثورة، بل يجب أن يشارك الجميع بدون انتماءاتهم الحزبية والحركية التي ثبت فشلها من قبل.

وكذلك يجب ألا نبخس موقف قيادات الجيش المصرى غير الطامح للسلطة وتأييده للتغيير الديمقراطى فى مصر وتأييده لثورة الشباب.

وهنا أيضًا يجب أن نحافظ على هذه الديمقراطية المكتسبة وألا نكرر تجربة ثورة يوليو التي بدأت بالديمقراطية وختمت بتأصيل الديكتاتورية فى مصر، وما عهد مبارك إلا ابن لنظام ثورة يوليو لمدة نصف قرن من السلطة العسكرية الديكتاتورية.

وهنا نقول للجميع لنبدأ بأنفسنا وأننا جميعاً سنهب للمشاركة الفعالة والايجابية في كل انتخابات واستفتاءات حيث أن هذه المشاركة هي الضمان الحقيقي للحرية والحياة الكريمة.

سابعاً ، وبعد مرور ما يقارب السنتين على أحداث الخامس والعشرين من يناير يلح علينا تساؤلات مهمة تحير فيها الكثيرون وهي:

لماذا لم يرحل مبارك إلى خارج مصر؟

ولماذا لم يهرب إبناه علاء وجمال مع أسرتهما إلى خارج مصر

واستمر في مصر حتى تم القبض عليهما وإيداعهما السجن لمحاكمتهما؟.

ولماذا لم يهرب معظم رجال مبارك وتم القبض عليهم ومحاكمتهم؟.

إن الأسئلة كثيرة والإجابة ليست واضحة.

هل كان القبض على مبارك ورجال مبارك هو الضامن الوحيد لحياتهم وانقاذهم من أن يلاقوا مصير القذافي؟.

أم أن المجلس العسكري هو الذي تولى الحكم بعد تنحي مبارك قد سبقهم قبل الهروب من مصر لمحاكمتهم كي يبريء نفسه أمام الشعب؟.

أم أن هناك الكثير من الأحداث التي لم يُكشف عنها الستار؟.

الساحة المصرية واللاعبون الجدد:

بنجاح الشباب في إشعال فتيل ثورة الخامس والعشرين من يناير ثم التقاف الشعب وتأييد الجيش لها أصبحت مصر بعد الخامس والعشرين من يناير غير مصر قبل الخامس والعشرين من يناير، وذلك ليس فقط لتغيير النظام، ولكن لأن الساحة المصرية أصبح بها لاعبون أساسيون غير اللاعبين السابقين، فقبل الخامس والعشرين كان اللاعبون هم النظام وما يمثله من تركة ورثها عن نظام الحكم منذ يوليو ١٩٥٢ وحتى الآن، ثم منتفعي الحزب الوطني، وبعد ذلك طبقة رجال الأعمال المنتفعين من مناخ الحرية الاقتصادية أو مناخ حرية النصب والسلب، وفي النهاية حزب المنتفعين من المعارضة الذين وجدوا لهم سبوبة للعيش

وذلك عن معارضة النظام والارتزاق من هذه المعارضة وهم مجموعة ليست قليلة وأيضاً ليست كبيرة ولكنها تمثل طرفاً هي المعادلة القائمة قبل الخامس والعشرين من يناير.

وبعد الخامس والعشرين من يناير تغير اللاعبون فأصبحوا كالاتي:
أولاً التيار الإسلامي من إخوان مسلمين وسلفيين ثم بقية الإسلاميين من صوفيين وعامة الشعب من المسلمين، وهناك التيارات السياسية من أحزاب مختلفة ليبرالية وعلمانية ثم وقبل كل ذلك المؤسسة العسكرية الحاكمة وهي المجلس الأعلى للقوات المسلحة .

وهكذا نجد أن الساحة المصرية في ذلك الوقت أصبحت ملعباً لثلاث لاعبين جدد، وإذا أخرجنا المؤسسة العسكرية من اللعب على افتراض حسن النوايا وصدق الأفعال فيكون اللاعبان الأساسيان هما التيار الإسلامي والتيار السياسي الليبرالي، والمتخرجون للعبة هم الشعب المصري، وهنا أيضاً نتساءل من سيكسب أصوات الشعب المصري : التيار الإسلامي أم التيار السياسي المدني ؟.

ويتحليل بسيط نجد أن التيار الإسلامي بفصيله الإخوان المسلمين هم أكثر اللاعبين استعداداً وتحضيراً وسوف يتألقون نسبة كبيرة من تأييد الشعب المصري، ونجد أيضاً أن التيار الإسلامي السلفي أقل اللاعبين حصولاً على تأييد الشعب المصري ولكنه منظم وله تأييد خارجي قوي، أما الصوفيين وبقية أطراف الإسلاميين فليس لهم نسبة كبيرة من التأييد وكذلك ليس منظمًا كالآخرين، وبذلك يستأثر الإخوان المسلمون بنصيب الأسد . وبالنسبة للتيار السياسي المدني فكلهم ليسوا لهم نصيب في الحصول على تأييد الشعب المصري وذلك لضعف تنظيمهم وقلة الدعم الخارجي لهم ولكثرة اختلافاتهم

فيما بينهم . وهنا تبرز الحقيقة الكبيرة وهي أن اللاعب الأساسي هو الإخوان المسلمون ، وسوف تكون الأغلبية من الإخوان المسلمون ، ويكون باقى الأطياف من سلفيين وصوفيين وتيارات سياسية أخرى هم الأقلية والمعارضة ، وهكذا فاللعبة هي بين الإخوان والآخرين ، ولكن هناك الرئيس الجديد المنتخب وهو من فصيل الإخوان وهناك الأغلبية الصامتة من الشعب المصرى وموقفها ، وهناك الموقف النهائى للمؤسسة العسكرية من كل ذلك ، وهو موقف ثبت أنه إما متضيق ومتوافق مع الإخوان من البداية أو أنه _ المجلس العسكرى _ كان هتأ من البداية وأن الأقدار ساقته لموقع القيادة من الحكم وأنه استسلم وسلم الأمر للرئيس المنتخب وهو بذلك يكون قد خرج من اللعبة تمامًا .

أى أن الساحة المصرية ستشهد مباراة بين عدة لاعبين بمختلف تأثيراتهم ونفوذهم ، فمن ياترى سيكون له الغلبة: التيار الإسلامى (الإخوان والسلفيين) أم التيار السياسى المدنى المشتت والذي تسوده الخلافات والانقسامات .

التيار المسيحى المتشدد فى مصر

ظهر بعد ثورة الخامس والعشرين من يناير تيار القوى المسيحية المتشددة والتي بدأت تستفيد من مناخ التغيير فى مصر ، والقوى المسيحية فى مصر لها دور كبير فى الحراك السياسى فى مصر وذلك منذ نهاية القرن الثامن عشر وحتى الآن .

وقد كان دور الإنجليز بعد احتلالهم لمصر فى عام ١٩٨٢ هو الضامن والحامى للتيار المسيحى فى مصر كعادة الإنجليز دائماً فى

سياسة فرق تسد ، فبدأوا من بداية الاحتلال فى دعم القوى المسيحية والاستعانة بالأقليات المسيحية فى مصر (اليونانيين والإيطاليين) وغيرهم ، ولكن المسيحية المصرية ومنذ البداية كانت غير متشددة ولا متعصبة وكان لها تواجدها على المحيط القومى فى مصر ولم يكن هناك لا تعصب ولا ضغائن بين المصريين مسلمين ومسيحيين واستمر هذا الحال حتى بداية القرن العشرين .

وأثناء ثورة عام ١٩١٩ كانت العلاقة بين المسلمين والمسيحيين علاقة شراكة فى الوطن مصر رغم أن المسيحيين لا يمثلون إلا ٧٪ من سكان مصر إلا أن التسامح بين المصريين والذي بدأ واضحاً من خلال رفع شعار الهلال مع الصليب فى أثناء ثورة ١٩١٩ ، وهو ما جعل الإنجليز يفضون الطرف عن أحداث الثورة نظراً للمكتسبات التى حظى بها التيار المسيحى فى ذلك الوقت .

وفى بداية السبعينات من القرن العشرين ومع تولى الأنبا شنودة مقاليد الكنيسة الأرثوذكسية فى مصر بدأ التيار المسيحى المتشدد يتواجد برؤية جديدة ، وبدأ تواجد قوى المصريين المسيحيين فى المهجر (خصوصاً كندا وأمريكا) ، ومع تصاعد حدة الاشتباكات بين المتشددين من التيار الإسلامى الذى وجد بعض الحرية فى السبعينات بدعم من الرئيس السادات لمواجهة الناصريين والشيوعيين وبين المسيحيين فى الداخل بدعم من الكنيسة بدأنا نسمع عن تواجد الأسلحة بالكنائس وعن الاشتباكات بين المسلمين والمسيحيين حتى كانت ذروة الأحداث فى قرار الرئيس السادات عزل الأنبا شنودة لتكرار معارضته للسادات ولإلتجاء شنودة لطلب الدعم من مسيحي مصر بالخارج ، وفى نهاية عام ١٩٨١ تم عزل شنودة من كرسي البابوية فى الكنيسة الأرثوذكسية وتعيين القمص متى المسكين راعياً

للكنيسة فى تحد واضح من السادات للتيار المتشدد المسيحى ، وفى نفس الوقت اعتقل السادات كل معارضيه ومنهم قادة التيار الإسلامى المتشدد وانتهت الأحداث بمقتل السادات على يد الإسلاميين المتشددين وبقى الأنبا شنودة رهين العزل حتى قضى القضاء المصرى بعودة شنودة وتم التصالح بين شنودة ومبارك واستمر الحال حتى رحيل مبارك .

وهنا فإن بذرة التشدد التى زرعها الأنبا شنودة لم يستطع التحكم فيها فازداد تشدد التيار المسيحى ومعه ازداد تشدد التيار الإسلامى ودخلت مصر فى أتون التشدد المسيحى الإسلامى وكلاهما أخطأ فى حق مصر.

وبعد أحداث الخامس والعشرين من يناير ومع مظاهر الرفض والاعتصامات بدأت نغمة التشدد المسيحى فى الظهور بقوة وبدأت لعبة السياسة فبدأنا نسمع عن تحالف الليبراليين مع القوى المسيحية رداً على تواجد الإسلاميين (سلفيين وإخوان) وبدأت لعبة المال والسياسة ، فرأينا تواجد المال ورجال المال ومنهم رجال المال المسيحيين فى التواجد مع الليبراليين ، وأخيراً مع بعض القوى الإسلامية الصوفية ضد الإسلاميين من سلفيين وإخوان ، وهكذا اختلط الدين بالسياسة بالمال بالمصالح والكل يلعب بمقادير مصر.

فلمن ستوجه مصر ؟؟؟